الجزء الرابع

تطور تفاعلات الأنماط

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الثامن

علم الأنماط ومهمة النمو

يُنظَر إلى أساس تطور النمط على انه تطور العملية "الاحتمالية" و"الحكمية" والطرق الملائمة لاستخدامها. فالنمو بوجود كافٍ للعملية "الاحتمالية" والعملية "الحكمية" يعتبر أسهل بكثير.

ومن خلال التعريف، يتبين لنا أن الأشخاص -مع القدر الكافي من العملية "الاحتمالية" -يرون الجوانب المتعلقة بأي ظرف كان، فإذا ما تمتعوا أيضا بالقدر الكافي من العملية "الحكمية" فسيكونون قادرين على اتخاذ القرارات وتنفيذها.

ومهما يكن مدى الصعوبة التي يواجهها الشباب حديثي السن، فإن التمتع بالقدر الكافي من العملية "الاحتمالية" و"الحكمية" يمكّنهم من مواجهة المشاكل والعقبات بطريقة ناضجة ومعتمدة، لذا فمن الجدير بالاهتمام أن نعتبر مدى إسهام نظرية الأنماط وبحوثها في تطوير هذه الكفاءات والقدرات.

تختلف الأنماط أساساً بنوع العملية "الاحتمالية" "الحكمية" التي تظهر منهم أفضل ما يكون. وهذه التفضيلات تعتبر فطرية ولا يجب القيام بأي محاولة لمعاكستها، وإلا فيمكن أن تؤدي هذه المحاولة إلى إعاقة التطوّر.

كما يجب استخدام الخبرة بالنمط لتشجيع وزيادة الفرص للأفراد من كل نمط بحيث يمكنهم المضي في تطويرهم ضمن توجّهاتهم الخاصة إلى قمة قدراتهم.

obeikandl.com

لقد بيّنت بحوث الأنماط أن الأنماط تختلف باهتماماتها وقيمها واحتياجاتها. فهم يكسبون علومهم وخبراتهم بطرق مختلفة، ويهتمون بطموحات مختلفة، ويستجيبون لمكافآت مختلفة. والنظام الحالي لتربية الأمة ينجح مع أنماط محددة ويفشل في توجيه الكثير من الطلبة إلى تحقيق حالة مرضية من النضج والإدراك.

ولذلك، يمكن النظر للتأثيرات المحتملة لنظرية الأنماط وبحوثها على مراعاة حالة النضج والإدراك من نقطتي الانطلاق التاليتين:

- النقطة الأولى: هي البحث في دوافع مختلف الأنماط في الظروف العملية. وكلما زادت الخبرة والمعرفة بما يهم كل نمط ويلفت انتباهه، كلما سَهُلَ التنبؤ بالأهداف التي ستجند طاقاتهم بالكامل خلال سنوات النمو.
- والنقطة الثانية: هي دراسة المنهج الطبيعي السليم لتطور النمط منذ المهد وصولاً إلى سن البلوغ، من أجل استكشاف الظروف التي ستساعد وتوسّع تطوير العمليتين "الاحتمالية" و"الحكمية" .

ولكن لم تتضمن مناقشة الباحث " فان دير هووب Van der Hoop " لمراحل تطور النمط الأعمار التي من الممكن أن تحدث فيها هذه المراحل.

في كل نمط هناك شكل بسيط، يكون فيه التمييز للوظيفة السائدة قد بدأ لتوه، وأشكال تكيّفها ما تزال قيد التجربة المؤقّتة، على الرغم من أنه يمكن ملاحظة التفضيل الواضح لأشكال التكيّف النموذجية.

وفي مراحل لاحقة، تكون الوظيفة المسيطرة قد وجدت أشكالها، متحكمةً بأشكال التكيّف تلك بثقة كبيرة. في حين يعتبر أي طارئ لا يكون على تناغم

في هذه المرحلة بمثابة عائق أو تشتت. ويتبع ذلك عند القليل من الناس مرحلة هدوء لاحقة، والتي فيها يُتاح للوظائف الأخرى المزيد من التطوّر، ولموازنة أي انحياز، وليتم إلى حد ما إعادة ضبط أي صورة نموذجية معلنة للشخصية، من خلال تجلي التعبير عن الطبيعة الإنسانية بشكل أقوى وأكمل.

ومن ثم تأتي المرحلة الأخيرة فقط عند الأشخاص الذين يعيشون نمطهم بتمامه مع الاستمرار بالنمو وخلال فترة اكتمال تطور أنماطهم، ثم يصبحوا وجهاً لوجه مع نقاط عجز نمطهم بالتحديد والتي لا مفر منها.

ومن دون هجر للقيم المرتبطة بعملياتهم الأكثر تطوّراً، بإمكانهم - من خلال فهمهم لذواتهم -أن يدركوا ويعتنوا بالقيم المرتبطة بعملياتهم من الدرجة الثالثة والرابعة والتي كانت مهملة من قبل ، وهذا أمر رائع، فإذا ما تمت هذه المحاولة قبل تحقيق الشخص تطوراً كاملاً لعملياته الأكثر تفضيلاً، فسيكون الأمر مجرد انحراف للشخص عن ذلك التطور وبالتالي ظهور آثار سلبية لذلك.

يبدأ تطور النمط يبدأ في سن مبكرةٍ جداً ، وتقول الفرضية أن النمط شيء فطري يولد مع الشخص، كالنزعة المتأصلة ، وكاستخدام اليد اليمنى أو اليسرى، لكن هذا التطور الناجح للنمط يمكن أن يكون مدعوماً من البيئة المحيطة أو يكون مهمّشاً منذ البداية.

من المحتمل أن تكون أكثر التفضيلات تأصلاً، ولها الأسبقية بالظهور هي "الانبساط" أو "الذاتية" فحتى الطفل الصغير قد يظهر نزعةً واضحةً نحو الحياة الاجتماعية أو التأملية كما هو الحال بالنسبة لأحد التوائم الإناث في سن الثالثة واللتان كانت بئتيهما متطابقة باستمرار برغم عدم تطابق هاتين الطفلتين، فقد

obeikandl.com

كان الفرق بين "الانبساطية" منهن و"الذاتية" واضحاً حتى للشخص المراقب لأقصر مدة لهاتين الطفلتين.

كما أن احتياجاتهن ستختلف أيضاً. "فالانبساطية" تحتاج إلى المزيد من العمل والأشخاص والتنوع والمحادثات والفرص للحصول على الكم المرضي من الضجة فهي تنتمي لكل من تتقابل معه، وإدراكها للعالم من حولها يعتمد على ما قد صادفت في هذا الحياة من هذا العالم.

وفي المقابل، يمكن "للذاتية" منهن أن تستخدم نفس الأشياء ولكن ليس بنفس الكم. فالكثير من التجمعات بالنسبة لها يدعها مُستَنزفة لأنها دوماً بحاجة لمكان حيث يمكن لها أن تكون لوحدها تركز بهدوء على ما يهمها. وبروح الأمن التي تتمتع بها فهي تسعى دوماً لتجد من يزيد من معرفتها بالمبادئ التي تشكل أساساً لتوحّد هذا الكون، حتى ولو أن والديها يعتقدان بأنها أصغر بكثير من أن تفهم ذلك. فهي تشعر بالارتياح التام في عالم متماسك، وليس العالم الممتد من حولها بأجزاء غير مترابطة.

إن تفضيل الـ TF وما ينتج عنه من نزاعات عائلية قد يظهر في سن مبكرة. فأحد الأطفال "الشعوريين" في سن السادسة قال برهبة يصف فيها أحد الأطفال "الفكريين" في سن الخامسة، بعد زيارة له، "إنه لا يهتم بالمحبة، أليس كذلك؟"

أساساً هو فعلاً لا يهتم. فلا بد له من مبررات لما يدور حوله. "فالمفكر" الصغير، وحتى بسن الثانية من العمر، يقوم بالأشياء وفقاً للأسباب والمبررات ولا يرى أي شأن للقيام بالأشياء لأجل الحب.

في حين أن الصغير من النمط "الشعوري" يقوم بأفعاله لأجل السرور والمحبة ولا

obeikandl.com

يثيره شيء من المنطق. ومن أجل الفائدة، يجب أن يتم تحفيز الأنماط "الفكرية" و"الشعورية" من خلال وضع أهداف واضحة وتعني لأنماطهم شيئاً.

فإذا لم يوجد من يبدي احترامه للأنماط "الانبساطية الشعورية" فإن الصغار، قد يتصرّفون على نحو بغيض فقط من أجل ردود الأفعال لا أكثر ، وأنهم ما يزالون على احتكاك مع الآخرين.

وإذا لم يعط الشخص الذي يتعامل مع "الفكري" الصغير أسباباً ومبررات جديرة بالاعتبار، فسيضيع تفكيرهم ويتبدد في الشقاقات وسيوسَمون على أنهم منكفئين سلبيين.

ومن ناحية أخرى، فإن تفضيل الـ SN يمكن أن يظهر في سن مبكرة أيضاً. فالطفل "الحسي" مفتون بما هو كائن، أما "الحدسي" فيكون مفتوناً بما ليس كائناً أو على الأقل "ليس كائناً بعد".

وفي هذا المجال، ثمة قصيدة تصف مفاهيم "الحدسيين" بدقة وهي بعنوان "الرجل الصغير غير الموجود".

وهكذا، فإن المسرحيات التخيلية، قصص الجن، الخيال بكل أنواعه، الكلمات الجديدة الساحرة والمموّهة يتم إخفاؤها للتسلية فيما بعد هي ما يغذي حماس ونشوة الطفل "الحدسي".

أما الطفل "الحدسي" المولود في عائلة واقعية ليس لديها الوقت لقراءة الكتب والحديث عن أي شيء إلا الوقائع الواضحة فسيقضي حياته نصف مُشبع.

ومن جهة ثانية، يفضّل الأطفال "الحسيون" الحقيقة الواقعية بشكل كبير، حيث أنهم يستخرجون الرضا والإرتياح مثلاً من محاولة الطبخ والأعمال الأخرى مثل عمل السمكري ولو كان الأمر بغير براعة، مقلّدين لآبائهم، ومهتمّين بغير

كلل بمعالجة وتقليب كل ما هو في متناول أيديهم وملموس لديهم تارةً بتقسيمه لأجزاء وتارةً بإعادة تركيبه، ولا يهتمون أبداً بكل ما ليس له وجود إلا بالتعبير عنه بالكلام أو الرموز الأخرى.

وغالباً ما يصرف الأطفال "الحسيون" نظرهم عن أغنية الأطفال " الإوزة الأم Mother Goose "على أنها سخيفة عندما يجدون أن البقرة في هذه الأغنية لم تقفز إلى القمر حقيقةً.

وهكذا، ففي الوقت الذي يبلغ فيه الأطفال الصف السابع، يمكن تحديد نمطهم بدرجة لا بأس بها من الدقة باستخدام مؤشر الأنماط ، ومن بعدها يمكن تقييم درجة تطور النمط السائد ضمن المجموعة باستخدام اعتمادية الانقسام النصفي لنقاط مؤشر الأنماط حيث يتم تقسيم كل مقياس إلى نصفين متساويين ويتم مقارنة نتائجهما.

وكلما كانت الاستجابات محكومة بالأنماط بشكل منتظم كلما كان التوافق بين النصفين أكبر وبالتالي كانت درجة الاعتمادية أقوى .

على الرغم من عدم توفر معايير مخصصة وصريحة لدرجة النضج والإدراك، فإن درجات اعتمادية الانقسام النصفي والتي تُتّخذ على أنها تعكس المستوى العام لتطوّر النمط ضمن عينة ما، يمكن استخدامها لمقارنة العلاقة بين تطور النمط ودلالة محددة و غير مباشرة لدرجة النضج.

وقد تم استخدام هذا المفهوم في دراسة سجلات عيّنات الطلبة في السنة ما قبل الأخيرة من المدرسة الثانوية العليا، تلك السجلات التي اختلفت بشكل واسع بدرجة الإنجازية.

ولأن درجة النضج تعتبر عاملاً مهماً بالنسبة لدرجة الإنجازية، فمن المحتمل أن

obeikandl.com

تكون العينات الثلاثة قد مثّلت ثلاث مستويات من درجات النضج.

في حين كانت المجموعات متماثلة في حصولها على درجات نسبة ذكاء IQ فوق المعدل، كما أظهروا في كل من التفضيلين EI & JP معدل درجات اعتمادية مساوياً لدرجات طلاب المدرسة الإعدادية في الصف الثاني عشر، الأمر الذي يوحي بأن طلبة السنة ما قبل الأخير في المدرسة العليا كان لهم تفضيلات EI & JP راسخة بقدر قابلية الطلبة الأقدم للأداء في المدرسة الإعدادية.

لكن درجات اعتمادية المجموعات الثلاث تنوعت في تفضيليّ SN & TF بطريقة مهمة.

فالمجموعة الأولى: وهي مجموعة طلبة في الصف السابع والمهيئين للدخول في الكلية ذوي درجات نسبة ذكاء IQ أعلى من (107) قد أحرزوا درجات اعتمادية أدنى في تفضيل SN و TF من مجموعة الطلبة في الصف الثاني عشر، الأمر الذي يوحي إلى أن العملية "الاحتمالية" و"الحكمية" ليست -في الصف السابع -بدرجة تطورها بعد خمسة أعوام لاحقة.

كما وأحرزت المجموعة الثانية والثالثة درجات في نسبة الذكاء IQ أعلى.

فالمجموعة الثانية: والتي تألفت من طلاب موهوبين بدرجة IQ أكبر أو تساوي (120) في الصف السابع حتى التاسع، بدرجة إنجازيه عالية. فكانت درجات إعتماديتهم في كل من التفضيلين SN & TF بنفس درجة علو درجات مجموعة الطلبة في الصف الثاني عشر. الأمر الذي يوحي إلى أنهم كانوا قد أحرزوا تطوّراً مبكراً في كل من عملياتهم "الاحتمالية" والحكمية.

والتفسير البديل هو أن المجموعة الثانية يمكن أن تكون قد نالت درجات اعتمادية في التفضيلين SN & TF بمعدل أعلى لمجرد أنه كان لها درجات IQ

obeikandl.com

أعلى، لكن هذا التفسير تم إبطاله بدليل المجموعة الثالثة حيث تألفت المجموعة الثالثة من فتيان في الفترة ما قبل نهاية الصف الثامن بدرجة IQ أعلى من (120) وأعطوا درجة اعتمادية متدنية جداً في التفضيل TF – وهي أدنى بكثير من درجة المجموعة الأولى، مجموعة طلبة في الصف السابع والمهيئين للدخول في الكلية. ودرجة الاعتمادية المتدنية هذه توحي بعدم نضج ملحوظ للعملية "الحكمية" أي، العجز في العملية "الحكمية".

ومن المعقول بمكان أنه لا بد من أن تكون العملية "الحكمية" و"الاحتمالية" أصعب بتطورها من مجرد السلوك المجرد وأن العملية "الحكمية" غالباً ما تكون أصعب من حيث النمو. فمن المفترض أن تكون مجموعة الطلبة في الصف السابع المذكورة آنفاً قد وصلت لمستوى طبيعي لأعمارهم وعقولهم من العملية "الاحتمالية" و"الحكمية".

في حين أن الطالثالثة:وبين الذين شكّلوا المجموعة الثانية قدّموا دليلاً على أكثر من النضج المألوف "للاحتمالية" و"الحكمية" عندما أحرز كل أعضاء المجموعة درجة عالية في كل مستويات اختبارات الإنجازية التي أخذوها، ونتائج كهذه لا تنتج تلقائياً عن درجة IQ عالية بل تتطلب إنجازاً ارفع لعدد من المتطلبات.

أما المجموعة الثالثة: وهي مجموعة الفتيان الذين لم يجتازوا الصف الثامن بعد، فقد فشلوا في تلبية تلك المتطلبات التي ضمن قدراتهم وبالتالي أعطوا دليلاً على أقل من النضج المعتاد.

يوحي هذا الدليل بأن درجات اعتمادية الانقسام النصفي لمؤشر الأنماط في التفضيلين SN & TF وعند اتخاذه كمقياس لمتوسط درجة النضج لكل من

العمليتين "الاحتمالية" و"الحكمية" ضمن المجموعة، يمكن استخدامها في تحديد أيٍّ من المناهج المدرسية وطرائق التعليم تسهم في أعلى درجات النمو.

كما يشير الدليل أيضاً إلى أن هناك اختلافاً كبيراً في تطور النمط بين مجموعات الأشخاص الفعّالين وغير الفعّالين، وأن هذا الاختلاف يمكن أن يستبين بسن مبكرةٍ حتى في الصف السابع. وفي الفصول اللاحقة سيتم البحث في بعض أسباب الاختلاف هذا.

obeikandl.com

obeikandl.com